الفصل الثاني

التحضيرات

بوتشوم، ألمانيا

بعد أن غادر زياد جراح هامبورغ في نوفمبر/ تشرين ثاني من عام 1999، اتصل أحد الأصدقاء بآيسل سينغين في شقتها حيث كانت تتابع دراستها في طب الأسنان. وحذّر الصديق من أنه سمع إشاعات حول جراح تقول بأنه كان يعتزم فعل شيء ما، وأنه ربما ذهب إلى أفغانستان. وقال الصديق: إن أهل جراح اتصلوا من بيروت للاستفسار عن الأمر وأن أسرته قلقة وخائفة، وأنهم يرغبون في معرفة مكانه. وطبعاً لم تكن آيسل تعرف مكانه أيضاً[1]. وكان جراح أخبرها بأنه ذاهب إلى بيروت، وهو ما لم تصدقه في حينه، إلا أن تأكيد الكذبة بتلك الصورة أثار حفيظتها أكثر من أي شيء آخر. وتساءلت في نفسها ترى ماذا عساه قال لأهلة؟ لا شيء، كما تبين لها الآن. لم يتحدث بكلمة واحدة. وبدأت على الفور بالاتصال بكل من يمكن أن يعرف عنه شيئاً في هامبورغ لعلها تجد شخصاً ما يعرف شيئاً عن مكان وجود زياد. وكما كانت تفعل من قبل، عندما كان زياد يختفي عنها، اتصلت آيسل بكل الأرقام التي تعرفها وزيادة. ويبدو أن أحد الأرقام التي اتصلت بها لامس نقطة في شبكة هامبورغ، فأثار ذلك قلق أحد الأعضاء فقام بدوره بإبلاغ الجهات العليا في الشبكة. وبعد عدة أيام، انتهت إلى مسامع عمر، الذي غادر هامبورغ إلى أفغانستان وكان يتنقل بين هولندا واليمن، تساؤلات آيسل. وحدث أنّ أقرب أصدقاء جراح في هامبورغ كان من بين المغاربة. فاتصل عمر بمنير المتصدق

وطلب منه الاتصال بآيسل وتهدئة روعها[2]. فعل المتصدق ما طلب منه. فاتصل بآيسل وحاول أن يطمئنها. جراح بخير، قال لها، لا، لم يكن يعلم عن مكان وجوده، إلا أنه كان متأكداً أنه سيعود إلى بيته قريباً. فلا تقلقي.

لم تفلح المكالمة في طمأنة آيسل إلا قليلاً. فلم تأت هذه المكالمة بجديد، ولم تعلم شيئاً أكثر مما كانت تعرفه من قبل باستثناء أن أشخاصاً غرباء لا تعرفهم يتصلون بها لإخبارها أن لا تقلق، وهو بحد ذاته مثير للقلق. والأهم من ذلك، أنها ما زالت لا تعرف أين زياد، ومع من هو، وماذا كان يفعل. وبعد أسبوعين، وصلت رسالة إلى صندوق بريد آيسل، وكانت تحمل طابع بريد يمني، وعلى الظرف كتابة بخط اليد غير معروفة لها. وبداخلها رسالة من زياد مكتوبة بخط يده. كان بخير، بحسب ما كتبه، أرجوك لا تقلقي، سأعود قريباً. وكتب لها زياد بأنه يرغب لدى عودته بإنجاب طفل. وتقول آيسل بأن الشيء الخاص حول كلمة "طفل" أنه كتبها بعدة لغات مختلفة، وكتب لها أيضاً بأنه افتقدها كثيراً وأنه مشتاق إليها".

وبالطبع كانت آيسل مغمورة بنشوة الفرحة بتلك الرسالة.

تقول آيسل: "لقد كنت سعيدة جداً بتلك الرسالة لأنني تأكد من خلالها أنه على قيد الحياة،... وقمت بإخبار والديه فوراً بأنه وصلتني إشارة على أن زياد حي يرزق".

وبعد أسبوع، اتصل زياد. وتقول آيسل: " قال لي بأنه سيعود قريباً. إلا أنني لا أتذكر محتوى ما دار بيني وبينه بالضبط لأنني كنت منفعلة كثيراً خلال المكالمة".

لم تكن رحلة زياد في العودة إلى بيتشوم خالية من الأحداث. فبعد أن طُلب منه السفر إلى الولايات المتحدة لتلقي التدريب على الطيران، ترك وراءه خالد شيخ محمد في كراتشي، وتوجه إلى ألمانيا بعد توقف قصير في دبي

لتغيير الطائرة ومتابعة الرحلة. لاحظ موظفو الهجرة في دبي أنه ألصق بجواز سفره صورة عن صفحة من القرآن، فأوقفوه للمساءلة. ووجدوا أن أمتعته مليئة بالمواد الدينية – أشرطة ومنشورات. كما أثار مسار رحلته بعض الشكوك. فقد كان كل شاب مسلم أمضى وقتاً في باكستان بهدف الدراسة أو السياحة، وهو الادعاء المعهود الذي يلجأ إليه الجهاديون، محلاً للشك. وبخاصة إذا مكث في باكستان مدة طويلة، بحسب ما يظهر من تأشيرات الدخول والخروج على جواز سفره، كما كان شأن جراح، لذلك أخذ جانباً للتحقيق[3].

لم يكن قد مضى سوى ساعات منذ أن افترق زياد عن خالد شيخ محمد. ويبدو أنه كان ما يزال في حالة من الذهول والاختلاط من ترسخ تأثيرات نتائج ما وافق على فعله. فتحدث إلى ضباط الأمن الإماراتيين بمنتهى الحرية والأريحية. وأخبرهم أنه كان في أفغانستان، وأنه يعتزم التوجه إلى الولايات المتحدة من أجل الدعوة إلى الإسلام ولتعلم الطيران. واستجوب الضباط زياد لعدة ساعات وخلال الاستجواب قاموا بالاتصال بالمسؤولين الأمريكيين للاستعلام منهم عما ينبغي فعله بهذه الشخصية المشبوهة.

ويقول ضابط إماراتي: "ما حدث هو أننا اتصلنا بالأمريكان ... قلنا لهم: لدينا هذا الشخص، ماذا نفعل به؟.. إنه هنا، اتصلنا بالأمريكان. وكان جوابهم لنا خلوا سبيله، وسوف نراقبه، كنا ننوي حجزه ولكنهم قالوا لنا أخلوا سبيله. لم نكن سعداء بإطلاق سراحه".

أُخلي سبيل جراح. وذهب للتسوّق في سوق مطار دبي، فاشترى هدايا لآيسل، ثم استقل الطائرة المتوجهة إلى ألمانيا. وهناك، أمضى بضعة أيام في هامبورغ، وبينما هو هناك أعلن للسلطات الألمانية عن فقدان جواز سفره. وقد كان ذلك من الممارسات الاعتيادية لدى الجهاديين الراغبين في السفر إلى

الولايات المتحدة، كوسيلة لطمس آثار أسفارهم السابقة. ثم فجأة، ودون أي سابق إنذار، وفي أول أيام فبراير/ شباط، ها هو زياد يقف أمام باب شقة آيسل حالقاً ذقنه، بملابسه الأنيقة - زياد الذي عرفته في الأسابيع الأولى في غريفسوايلد، زياد الذي وقعت في حبه. قدم لها الهدايا التي أحضرها لها - مجوهرات، عسل، أحذية، وتنورة.

"بالطبع، وجهت إليه السؤال التالي: - أين كنت طوال هذه المدة؟ - ولم أسأله مرة واحدة، بل مرات، وكان الجواب الوحيد الذي تلقيته منه - لا تسأليني -، وفيما بعد أصبح جوابه - لا تسأليني، من الأفضل لك ألا تعرفي - وقد ضايقني ذلك، فسألته - كيف يكون من الأفضل لي ألا أعرف؟ - ولم أحصل على أي جواب.

"وفي لحظة ما، قلت لنفسي، - لا بأس في ذلك -، وكنت قانعة بتلك الحال. فقد كنت سعيدة أنه موجود معي، وأن حالة الهيجان والتوتر - كما فسرتها في ذلك الوقت - قد انتهت... لقد عاد دون لحية، وكنت آمل أنه قرر ذلك من أجلي".

وفي تلك الليلة، وبينما كان زياد نائماً في سريرها، رفعت أيسل اللحاف وعاينت بعناية جسم زياد من رأسه إلى أخمص قدميه، كل بوصة منه، باحثة عن آثار لكمات أو إصابات أو أي شيء يمكن أن تستخلص منه أين كان أو ماذا كان يفعل. لم يكن هناك أي شيء. كان يبدو بصحة جيدة ولياقة بدنية عالية. وقالت في نفسها إنه على ما يرام. وذكرت فيما بعد بأنها أقنعت نفسها بقبول عدم تقديمه تفسيراً حول غيابه. فقد عاد إليها، وهذا هو المهم بالنسبة لها. وما حدث أصبح من الماضي. وسيكون كل شيء كما كان في البداية. فقد ظهر زياد أكثر تساهلاً في دينه، أكثر اعتدالاً. تحدث إليها قليلاً عن باكستان، ولكن كان كل حديثه منصباً على المناظر الطبيعية، وكيف أن الناس هناك يعيشون حياة بسيطة مختلفة. ولم يتحدث بكلمة واحدة عن أفغانستان، أو عن سبب

ذهابه إلى هناك. وذكر لآيسل بأنه توصل إلى قرار مهم أثناء سفره في الخارج. لقد بات يعرف الآن ماذا سيفعل في حياته: يريد أن يصبح طيّاراً. وقد بدا ذلك قراراً منطقياً لآيسل. فقد كان أخبرها قبل عدة سنوات كم كان يعشق الطيران في صغره ؛ وكان دائماً يرسم لوحات للطائرات.

بدأت آيسل حينها بوضع خططها على الفور. فتخيلت حياتهما معاً في التفاصيل الحالمة التي دفعتها إلى التحمس لها: سنة أخرى لاستكمال تدريبات زياد، ثم إنجاب الأولاد، وربما سنة أو اثنتين في تركيا مع أسرتها، وإذا رغب زياد بمغادرة ألمانيا، فإن بإمكانه العمل مع الخطوط التركية ويمكنها هي أن تعمل طبيبة أسنان هناك. ثم بإمكانهما الانتقال إلى بيروت إذا رغبا في ذلك. كل شيء بدا ممكناً. خططا معاً وتحدثا، وحلما، كما كانا يفعلان في غريفسوايلد. والفرق هو أنهما الآن، وبدلاً من البحث عن مخرج من شرق ألمانيا الكئيب، وبدلاً من البحث عن جامعات جديدة، أخذا يبحثان عن معاهد الطيران. اتصلا بمعاهد تدريب الطيران المحلية. إلا أنه لم يكن هناك الكثير منها قرب بوتشوم. وأخذ زياد إجازة لعدة أيام. وقام بزيارة قريب له لم يره منذ عدة سنوات، يعمل مهندساً في إحدى المفاعلات النووية. كما ذهب لزيارة أصدقائه في هامبورغ و برلين.

وفي أحد الأيام، وعندما كان زياد خارج المنزل، عادت آيسل إلى البيت من الجامعة لتجد رسالة صوتية لزياد تركت على آلة تسجيل الرد الآلي في الهاتف. وكانت الرسالة من ميونيخ، من الممثل الألماني لمعهد طيران في فلوريدا في الولايات المتحدة. وأظهرت الرسالة أنها جاءت رداً على استعلام قام به زياد. استشاطت آيسل غضباً من تلك الرسالة. فقد عاد زياد إلى عادته القديمة: الكذب والمراوغة وإخفاء المعلومات. فواجهته عندما عاد إلى البيت. وكالعادة، كان لدى زياد تفسير جاهز: إنها أفضل تدريب موجود. والأسرع في

تحقيق الهدف. يمكنه أن يحصل على شهادة الطيران في الولايات المتحدة أسرع من أي مكان آخر، وهي أفضل شهادة يمكن الحصول عليها، وبإمكانه معادلتها في أي مكان في العالم. وإلى جانب ذلك، بحسب ما قاله لها، أراد أن يبتعد عن أصدقائه القدامى. وهذا هو السبيل الوحيد لتحقيق ذلك. اطمأنت آيسل لهذا التفسير. وهدأت أكثر من أي وقت مضى.

"قبل مغادرته إلى باكستان، أوضح زياد بما لا يدع مجالاً للشك أنه لا يرغب في العيش في ألمانيا، ولكن وبعد أن رجع وامتنع عن الحديث عن الفترة التي غابها. ظننت أنه ارتكب فعلة ما مخالفة للقانون على الأرجح؛ لأن الحرب في الشيشان كانت ما تزال مشتعلة في ذلك الوقت. وكنت أظن أنه وبسبب معتقداته الدينية قد أدى نصيبه في ذلك الشيء. وهذا ما قصدته بحالة الهيجان والتوتر. وعندما عاد إلى ألمانيا دون لحيته، ظننت أن تشدده الديني قد خفّ، وأنه أصبح أكثر توافقاً مع طريقتي الغربية في الحياة"[4].

وضعت آيسل شكوكها جانباً وقبلت بالأمر الواقع دون مناقشة. وبعد ذلك بوقت قصير، أرسلت إلى إحدى صديقاتها رسالة إليكترونية قالت فيها: "إنني أعلم أنه كذب علي... ولا أكاد أصدق شيئاً يقوله. إلا أنه من الآن فصاعداً لا يملك أن يقول شيئاً حول ما أفعل، أو كيف أتصرف. إنني أعرف أكثر مما يظن أنني أعرف"[5].

وفي مارس/ آذار، ذهب زياد إلى ميونخ. ووقع عقداً ودفع دفعة أولى للتدريب على الطيران التجاري لدى فلوريدا فلايت ترينينغ سنتر (مركز فلوريدا لتدريب الطيران) الذي يقع في مدينة فينيس بولاية فلوريدا الأمريكية. على أن يبدأ التدريب في الصيف. وما لم تعلمه آيسل هو أن بعض أصدقاء زياد الملغزين - الرجال الذين لم تتمكن من مقابلتهم - لأن النساء لا يمكنهن الذهاب إلى الأماكن التي يوجدون فيها - بحسب ما قاله لها، سيكونون في

الولايات المتحدة معه. كما أن آيسل لم تكن تعلم كذلك أن زياداً قد أخبر أحد أقربائه قبل ذلك بأنه لشرف عظيم أن يكون مسلماً شهيداً وأن الخطة لتحقيق ذلك قد بدأت بالفعل.

سانديا غو

في الوقت الذي تأكد فيه لعملاء أجهزة الاستخبارات الغربية وجودهم في بانكوك، كان خالد المحضار ونواف الحازمي ذاهبين في طريقهما إلى لوس أنجلوس على متن رحلة لشركة يونايتد إيرلاينز. ووصل الاثنان في الخامس عشر من يناير/ كانون ثاني من عام 2000. ومكثا في المدينة أسبوعين[6].

وفي بداية فبراير/ شباط، وبينما كانا يتناولان طعام الغداء في أحد مطاعم كلفر سيتي، خارج حدود لوس أنجلوس، مرّ من جانبهما رجل يدعى عمر البيومي، فسقطت منه صحيفة كان يحملها، وبعد أن انحنى ليتناولها، نظر إلى الرجلين وقال لهما بأنه سمعهما يتحدثان باللغة العربية وأن الفضول دفعه إلى التعرف عليهما لأنهما من بني جلدته[7]. وبدأ بالتحدث إليهما. وفي الحال، قام بدعوتهما إلى سانديا غو، حيث أخبرهما أنه سيساعدهما في الاستقرار. وكان ذلك مما اعتاد البيومي فعله. فقد كان يتصرف وكأنه وكيل استقبال العرب في منطقة سانديا غو. وكان يبدو وكأنه يعرف كل مسلم جديد قادم إلى المدينة. أو كما في شأن المحضار والحازمي، قبل أن يقدما إليها.

لم يكن من الواضح أبداً للأشخاص الذين التقوا عمر البيومي في سانديا غو من هو بالضبط عمر البيومي. ولا لمصلحة من كان يعمل، ولا لماذا قدم إلى كاليفورنيا، أو لماذا غادرها. وصل بيومي إلى سانديا غو عام 1995. وسكن هو وزوجه وأربعة من أولاده في مبنى سكني في ضواحي المدينة. وكان يقول للناس بأنه يدرس التجارة الدولية. إلا أن ذلك كان مستبعداً لأنه كان في الأربعين من عمره، والأكثر من ذلك أنه لم يسبق له أن التحق بأي معهد أو

جامعة. كما أنه لا يعمل. على الأقل ليس في وظيفة معروفة. وكان تفسيره للأشخاص الذين يسألونه عن عمله بقوله بأنه يحصل على مرتب شهري من الشركة التي عمل فيها في السابق دلة أفكو. وهي شركة ملاحة جوية في موطنه الأصلي المملكة العربية السعودية . وأخبر آخرين بأنه موجود في كاليفورنيا على حساب بعثة من الحكومة السعودية[8]. وكان بيومي يحمل معه دائماً كاميرا فيديو أينما يذهب؛ وكان يصوّر كل شيء من مباريات كرة القدم المحلية إلى تجمعات العشاء وحتى الخطب والدروس التي تلقى في مركز سانداياغو الإسلامي الذي يعتبر مركز تجمع الجالية الإسلامية البالغ تعدادها مئة ألف نسمة، والمؤلفة من مختلف الأعراق والأجناس. وكان يولي اهتماماً زائداً بالقادمين الجدد، ويمكن الاعتماد عليه في مساعدتهم في البحث عن المسكن، وفي العموم مساعدتهم في الاستقرار في الحياة الأمريكية. كما كانت لديه اتصالات قوية مع القنصلية السعودية في لوس أنجلوس، وبخاصة مع مسؤولي الشؤون الدينية هناك[9]. والحكومة السعودية، شأنها شأن باقي الحكومات العربية، تتابع عن كثب مواطنيها في الخارج. وتولي اهتماماً خاصاً بالشبان حرصاً منها على عدم قيامهم بأعمال قد تسبب الحرج للملكة. وافترض بعض الناس أن بيومي كان عميلاً يتلقى راتباً من الحكومة السعودية للقيام بتلك المهمة. وكان ينظر إلى ذلك العمل بأنه نشاط حميد وعمل من أعمال الخير.

وفي فبراير/ شباط، وبعد انقضاء شهر رمضان بوقت قصير، أحضر بيومي المحضار والحازمي إلى المدينة، وطلب من الآخرين مساعدتهم في الاستقرار. فقد كانا يتحدثان الإنجليزية بصعوبة، وكانا بحاجة إلى استصدار بطاقة التأمين الاجتماعي والرقم الوطني، ورخصة قيادة السيارة، وفتح حساب مصرفي. واستضافهما بيومي في شقته لبضعة أيام ثم انتقل بهما إلى شقة

ذات طابقين في مجمع بارك وود للشقق السكنية في كليرمونت. وهي ضاحية جميلة تسكنها الطبقة الوسطى شمال مركز المدينة[10]. قام بيومي بعمل الإجراءات اللازمة للسكن في الشقة وأقرضهما مبلغاً من المال لدفع أجرة الشهر الأول وإيداع التأمين. وأقام لهما حفل استقبال. وأخبر بيومي الناس بأنهما جاءا إلى سانديغو لتعلم الإنجليزية، وذلك بالرغم من أنه لا أحد بمن فيهم بيومي، يتذكر مشاهدة أي منهما يذهب إلى أي درس. وكان نواف الحازمي يقضي كثيراً من الأوقات في جامعة سانديغو، بحسب ما يقوله أحد الأصدقاء، حيث كان يستخدم مكتبة الجامعة لعدة ساعات يومياً في تصفح الإنترنت والدخول إلى غرف الدردشة العربية. كانت إنجليزية الحازمي ركيكة، إلا أنه كان شخصاً ليّن العريكة، ذا طبيعة محببة، ومتوافقاً مع الجميع. وكان يأتي في الصباح إلى مكتب إدارة وتأجير الشقق التابع للمجمع السكني ليتناول القهوة والبسكويت. كان حليقاً، قليل البنية – كان طوله بحسب تقدير بعض الأشخاص أقل من 5 أقدام و 6 بوصات – ونحيلاً. يلزم غرفته عندما لا يكون في الجامعة.

أما المحضار، فكان استبطان شخصيته أصعب؛ وذلك لأنه لم يكن يتحدث الإنجليزية مطلقاً. وكان الاثنان يعرفان بعضهما بعضاً منذ أيام الطفولة في مكة، في المملكة العربية السعودية. وكانا يتحدثان دائماً عن الحرب في الشيشان، وقبلها حول الحرب في أفغانستان. وذكر الحازمي لأحد الأشخاص ذات مرة أن القتال في سبيل الإسلام هو "شرف عظيم"، ولكنه لم يذكر له أنهما (أي الحازمي والمحضار) قد شاركا في القتال في البوسنة قبل عدة سنوات. كما كان الحازمي يبدي إعجابه الشديد بأسامة بن لادن، الذي كان في نظره يعمل بالنيابة عن جميع المسلمين[11].

وقع الحازمي عقد إيجار لمدة ستة شهور للشقة الأرضية في مجمع بارك وود؛ إلا أنه هو والمحضار اشتكيا من عدم مقدرتهما على دفع الأجرة، وبعد

شهرين، وبالتنسيق مع بيومي، قاما بتأجير الشقة لأحد الأشخاص واستأجرا غرفة من منزل يعود إلى أستاذ متقاعد في الآداب تعرفا عليه في المركز الإسلامي اسمه عبدالستار شيخ. ويقع المنزل في منطقة سكنية ريفية شرق سانديغو مطلة على سبرينغ فالي. وكان هذا المنزل المكون من طابقين والواقع في حي ليمونغروف نقطة تجمع للأشخاص الشرق أوسطيين منذ عقدين من الزمان. وكانت تلك الاجتماعات تثير الفضول أكثر من إثارتها للشكوك. ويشتهر عبدالستار شيخ بنشاطاته في القضايا الإسلامية والمدنية. وغالباً ما يؤجر غرف منزله للشبان العرب، وكان أيضاً يعقد حلقات لتعليم القرآن. وكانت الحلقات والاجتماعات تخدم هدفين: فمن خلالها يقدم عبدالستار شيخ المساعدة للشباب، وفي الوقت نفسه يجني الفائدة المالية مما يحصل عليه من معلومات منهم. فقد كان يعمل مخبراً لحساب مكتب التحقيقات الفيدرالي[12] FBI.

وفي الربيع، أخبر الحازمي والمحضار أصدقاءهما برغبتهما في تعلم الطيران. وبعد السؤال والتحري، وعندما تبين لهما تكلفة ذلك، أخبر الحازمي أحد أصدقائه أن بإمكانه طلب تحويل المال اللازم لذلك من السعودية، إلا أنه لم يكن يملك حساباً مصرفياً. وطلب من صديقه السماح له بتحويل مبلغ خمسة آلاف دولار إلى حسابه الشخصي[13]. وافق صديقه على ذلك، إلا أنه بعدما وصلت الحوالة في منتصف إبريل/ نيسان كانت قادمة من الإمارات العربية المتحدة وليس من المملكة العربية السعودية، وكان المرسل معرفاً باسم علي، وهو ما أثار حفيظة صديقه [14] الذي أخبر الحازمي أنه لن يساعده ثانية.

وكما تبين فيما بعد، لم يكن هناك حاجة لتلك المساعدة. فعقب ذلك فوراً، رافق صديق آخر كلاً من الحازمي والمحضار إلى مونتغيمري فيلد، وهو حقل تدريب للطيران المدني قرب المدينة. وهناك تعاقدا على تلقي سلسلة دروس في تعلم الطيران.

يقول فريدون "فرد" سوربي مدرب الطيران في الحقل: " حضروا إلى هنا في اليوم الأول، وقالوا بأنهم يرغبون في تعلم قيادة طائرة البوينغ،" وتابع حديثه، "فقلنا لهم، عليكم أن تبدؤوا تدريجياً وبالتأني. إنكم لا تستطيعون القفز إلى البوينغ مرة واحدة".

قدم لهم سوربي دروساً ابتدائية في واحدة من الطائرات الصغيرة من طراز بايبر تشيروكيز، وكان كل واحد منهما يأخذ دوره في قمرة القيادة لمدة ساعة. ويذكر سوربي: "أخذناهم لكي أريهم كيف تطير الطائرة"، وفي إحدى المرات وعندما كانت الطائرة تهبط في المدرج في نهاية الرحلة، ارتعد أحدهما خوفاً، ولا يتذكر أيهما كان، وبدأ بتلاوة الصلوات والدعاء إلى الله بصوت مرتفع بينما كان الآخر يوجه الطائرة نحو مدرج الهبوط. ثم نصحهم سوربي بتأخير الدروس المتبقية: "نصحناهم بالذهاب إلى الكلية وتعلم اللغة الإنجليزية إذا كانوا يرغبون بتعلم الطيران. وقالوا لنا بأنهم يفعلون ذلك".

كانت تلك نهاية دروس تعلم الطيران، وبعد ذلك بقليل، غادر المحضار المدينة إلى غير عودة. وأخبر معارفه هناك أن لديه بعض المشكلات العائلية في اليمن[15]. وفي الخامس عشر من يونيو/ حزيران، سافر على متن رحلة تابعة لشركة الخطوط الألمانية لوفتهانزا إلى فرانكفورت مواصلاً سفره من هناك إلى عُمان.

أما الحازمي، فقد أخبر عبدالستار شيخ بأنه يرغب بمتابعة دروس الطيران، كما أخبره بأنه يرغب بالتزوج من فتاة مكسيكية. ويقول عبدالستار شيخ: "فقمت بتعليمه بعض الجمل والعبارات الإسبانية مثل كي باسا"[16] (التي تعني كيف حالك بالإسبانية)" وقام الحازمي بوضع إعلان في موقع لونلي هارتس (قلوب وحيدة) هذا نصه: "رجل أعمال سعودي يبحث عن فتاة مستعدة للإقامة هنا في الولايات المتحدة الأمريكية وفي المملكة العربية السعودية".

ويقول عبدالستار شيخ بأن ذلك الإعلان لم يحصل إلا على ردين من فتاتين مصريتين".

يقول عبدالستار شيخ: "طيلة فترة أقامته معي، لم أره قط يستخدم الهاتف. وكنت أتساءل عما إذا كان له أي أهل أو أقارب"،... وأخبرني ذات مرة أن والده حاول أن يقتله عندما كان طفلاً. ولكنه لم يذكر لي سبب ذلك، إلا أنني لاحظت على ساعده آثار جرح طويل بالسكين... وقال لي بأنه أتى إلى هنا ليتعلم الإنجليزية. إلا أنني لم أشاهده يذهب إلى المدرسة كثيراً. وأخبرني أنه يتلقى دروساً في الإنجليزية في معهد للغات وسط المدينة"[17].

وفي بعض الأحيان، بدا الحازمي وكأنه في رحلة استجمامية مدى الحياة. فقد اشترى تذاكر موسمية لدخول حديقة حيوانات سانديا‌غو. كما اشترى سيارة تويوتا كبيرة زرقاء اللون. وكان يسافر بها كثيراً عبر صحراء الموجيف إلى مدينة لاس فيغاس عاصمة القمار واللهو في الولايات المتحدة الأمريكية. وفي المدينة، كان يعتاد الذهاب إلى نادي شيتاه، وهو ملهى لليلي للراقصات العاريات، ويقع على مقربة من المركز الإسلامي. والمركز الإسلامي نفسه لم يكن بحال من الأحوال ملاذاً للإسلام المتطرف. بل كان تعددياً للمسلمين من مختلف الأجناس والأعراق ويدعو إلى الاندماج في المجتمع الأمريكي. وكانت جميع اللافتات بداخلة مكتوبة باللغة الإنجليزية. وعندما جاءت مجموعة من الأشخاص ذات مرة إلى المركز وحاولت توزيع منشورات تمتدح ابن لادن، قام المسؤولون عن المركز بمصادرة المطبوعات وطلبوا من الأشخاص مغادرة المكان فوراً وعدم العودة إليه.

عمل الحازمي بعض الوقت في غسيل السيارات لدى محطة تكساكو. وهي محطة يملكها فلسطينيان وكانت مكاناً لتجمع العرب الذين كانوا يجلسون في ساحة المحطة حول طاولة نزهة للحديث وشرب القهوة. وكان الحازمي

يأتي إلى المحطة ويجلس حول تلك الطاولة حتى في الأيام التي لا يعمل فيها. وفيما عدا بضعة الأسابيع التي عمل فيها في غسيل السيارات، فإنه لا يوجد أي دليل على مصدر للدخل طيلة الأحد عشر شهراً التي قضاها في سانديغو[18].

فلوريدا

لم يرجع محمد الأمير إلى هامبورغ من أفغانستان إلا في نهاية فبراير/ شباط من عام 2000 [19]. ولم يكلف نفسه عناء استئجار شقة جديدة هذه المرة؛ فقد هيأ له أصدقاؤه غرفة مؤقتة ليقيم فيها في مسكن للطلاب أو في بعض الأحيان يعيرونه غرفة في إحدى شققهم. ولم يكن هناك أي حاجة للإعداد من أجل إقامة طويلة. فقد بدأ الأمير بالاتصال بمعاهد الطيران في الولايات المتحدة الأمريكية. وفي مارس/ آذار، قام بإرسال رسائل عبر البريد الإليكتروني لأكثر من ثلاثين معهداً للطيران في مختلف مناطق الولايات المتحدة. وكتب فيها: "نحن مجموعة من الشبان (2 – 3 أشخاص) من دول عربية مختلفة. ونرغب بالبدء بالدراسة والتدريب نحو تحقيق هدفنا بأن نصبح طيارين محترفين" [20] كما قام الأمير بإرسال رسالة أخرى عبر البريد الإليكتروني إلى أحد أصدقائه القدامى ممن درسوا معه في جامعة القاهرة ويقيم في فلوريدا يسأله عما إذا كان يتحتم عليه التقدم بطلب تأشيرة طالب قبل مجيئه إلى الولايات المتحدة[21]. وكتب لصديقه في تلك الرسالة "إنها حقاً مرحلة صعبة ولكنها أيضاً ممتعة".

قامت المجموعة كلها التي ذهبت إلى أفغانستان بتقديم طلبات تجديد جوازات سفرهم لإخفاء آثار سفرهم إلى باكستان. وحصل الشحي على جواز سفره الجديد في الإمارات العربية المتحدة قبل عودته إلى ألمانيا، وحصل عمر على جواز سفر جديد في اليمن قبل ذلك بوقت. وتلقى محمد الأمير جواز سفره الجديد بعد أن عاد إلى ألمانيا كما فعل جراح. وكلهم قالوا بأنهم فقدوا

جوازات سفرهم القديمة. وفي الثامن عشر من يناير/ كانون ثاني، كان الشحي أول من حصل على تأشيرة دخول إلى الولايات المتحدة مستخدماً جواز سفره الجديد. وذهب محمد الأمير وعمر إلى برلين للتقدم بطلبات تأشيرات دخول إلى الولايات المتحدة. حصل محمد الأمير على التأشيرة فوراً ودون أي تأخير أو إعاقة. أما عمر فلم يكن موفقاً. فقد واجه ذات الصعوبة التي واجهها اليمنيون الذين اختارهم ابن لادن ابتداءً لتنفيذ خطة الاختطاف – وهي أن المسؤولين في السفارة الأمريكية كانوا يرفضون من حيث المبدأ طلبات الزيارة التي يتقدم بها اليمنيون. وتمت مقابلة عمر وتوصل مسؤولو السفارة إلى الاقتناع بأنه لا يرتبط بألمانيا بروابط كافية، وعلى هذا الأساس فهو مهاجر لأسباب اقتصادية وتم رفض طلبه على هذا الأساس[22]. وحصل جراح على تأشيرة دخول إلى الولايات المتحدة دون أي تأخير أو إعاقة في مايو/ أيار.

لحق عضوان آخران من مجموعة هامبورغ، وكلاهما مغربيان بقية المجموعة إلى أفغانستان، وهما: زكريا الصبّار ومنير المتصدق. غادر الصبّار على عجل في يناير/ كانون ثاني، وعلى نحو مفاجئ دون سابق إنذار. ولم يكن ذلك مستغرباً منه، فهو الشخص الذي تحول فجأة قبل سنتين إلى متطرف. الشخص الذي تغير خلال عدة أشهر من طالب جامعي عشوائي إلى أصولي مسعور، وكان مستعداً لقطع روابط صداقته بالآخرين في ظرف أسابيع، لكي ينصب نفسه مسؤولاً عن مراقبة تطبيق الإسلام بين أقرانه. أما المتصدق فقد كان أكثر تردداً، وبالرغم من كونه أصولياً متحمساً منذ سنوات عدة لدرجة أن السلطات الألمانية قررت مراقبة نشاطاته ووضعه على قائمة مراقبة الحدود لرصد أسفاره[23]. إلا أنه لم يظهر أية نية لوضع نزعاته الدينية موضع التنفيذ. وبعد عودة الأمير من معسكرات أفغانستان، وجه المتصدّق إليه بعض الأسئلة حول تجربته هناك. كما اجتمع بالشحي وعمر وتحدث إليهما حول

الموضوع ذاته[24]. وعلى خلاف حال الكثيرين من أعضاء المجموعة، حافظ المتصدق على صلته بأسرته في المغرب وعلى نحو دائم ومنتظم، وكان يشركهم في قراراته. وكان طالباً مجتهداً في دراسته. لم يكن موهوباً ولكنه كان مجداً. تزوج من فتاة روسية مهاجرة وسعى إلى أخذ موافقة أهله على ذلك الزواج. وقبل مغادرته إلى أفغانستان، سافر هو وزوجته الجديدة إلى المغرب. لم يذكر المتصدق لأهله شيئاً عن أفغانستان، ولكنه قال لوالده بأنه ينوي السفر إلى باكستان. لم يكتف والده بالموافقة على ذلك بل قدم له مبلغ ألفين وخمسمائة دولار لتغطية مصاريف السفر والإقامة هناك. عاد المتصدق إلى هامبورغ، ومنها طار إلى اسطنبول في 22 مايو/ أيار[25].

وبعد أسبوع، أي في التاسع والعشرين من مايو/ أيار، سافر الشحي من بروكسل في بلجيكا متوجهاً إلى مطار نيوويرك الدولي في ولاية نيوجيرسي. وفي اليوم التالي نزل في فندق سيتي كورتيارد التابع لفندق الماريوت في نيويورك، ثم انتقل إلى فندق بست ويسترن منتظراً محمد الأمير الذي وصل بعد خمسة أيام قادماً من براغ عبر نيوويرك. وكان سفرهما عبر دول ثالثة مقصوداً لكي يصعب تقفي أثرهما[26]. وكان محمد الأمير والشحي يحملان تأشيرة دخول إلى الولايات المتحدة لمدة ستة أشهر. وصدر تصريح محمد الأمير حاملاً الاسم الأول والأخير كما يظهر في جواز سفره. وكما هي حال كثير من العرب، لم يستخدم الأمير ولا أي أحد من أسرته الاسم الأخير، ولذلك، ومن الناحية الفعلية، فإنه قدم إلى الولايات المتحدة كشخص جديد هو محمد عطا[27].

أمضى عطا والشحي أسابيعهم الأولى في الولايات المتحدة في مدينة نيويورك. وإذا ذهبا إلى أي مكان، فإن الشحي عاد إلى المدينة نهاية الشهر ليتسلم حوالة مالية ألفي دولار من عمر في ألمانيا. واشترى عطا هاتفاً خلوياً

ووقع عقد خدمة مستخدماً عنواناً في مدينة نورمان في ولاية أوكلاهوما، وهو العنوان الذي توجها إليه لاحقاً[28]. وفي بداية شهر يوليو/ تموز، وعلى الرغم من أن عطا اتصل بعدد من معاهد تدريب الطيران عندما كان في ألمانيا، إلا أنه لم يتخذ أي إجراء للالتحاق بأي منها. فقد بدا وكأنه كان يرغب بمعاينة هذه المعاهد شخصياً قبل التسجيل فيها. فأمضى هو والشحي ثلاثة أيام في مدينة نورمان، قاما خلالها بزيارة معهد إيرمان للطيران هناك. إلا أنه كان من الواضح أن شيئاً ما لم يعجبهما في ذلك المعهد[29]. وخلال أسبوع كانا على شواطئ خليج فلوريدا، حيث التحقا بمعهد هوفمان للتدريب على قيادة الطائرات التجارية، وقاما بفتح حسابات مصرفية، وتولي تدابير السكن. وفي ذات الوقت الذي وصلا فيه إلى فلوريدا كان زياد جراح يتلقى تدريباته في مركز فلوريدا للتدريب على الطيران والذي لا يبعد سوى مائتي قدم عن معهد هوفمان. وكلا المعهدين يقعان في مطار فينيس. استأجر جراح غرفة واحدة في تجمع سكني صغير لا يبعد سوى مسافة بلوك واحد عن المطار. ويصعب تصوّر عدم التقاء العرب الثلاثة ببعضهم بعضاً في هذا المطار الصغير وفي تلك البلدة الصغيرة. إلا أنه لا يوجد دليل على أن شخصا ما شاهد الثلاثة معاً في وقت واحد. وسكن عطا والشحي معاً لمدة أسبوع في غرفة استأجراها من محاسب يعمل في المعهد، إلا أنه سرعان ما تبين أن هذه الترتيبات لم تكن مناسبة. فقد كانت الحدود متداخلة. وخلال انخراطهما في التدريبات، قاما باستئجار منزل صغير بأجرة 550 دولاراً في الشهر في مدينة كوكوميس وهي بلدة تقع شمال فينس مباشرة، ومكثا فيها لعدة أشهر[30]. وعندما انتقلا إلى البيت، أحضرا معهما طبقاً من البسكويت وقدماه للوكيل العقاري الذي ساعدهما في اختيار البيت وتوقيع عقد الإيجار. وكان الوكيل مندهشاً من شدّة اقتصادهما في المصاريف، إذ إنهما كانا قليلاً ما يشغلان المكيف حتى في الحرارة الخانقة والرطوبة العالية في صيف فلوريدا[31].

على الرغم من أنه كان يفصل بين سانديا‌غو وسواحل فلوريدا مسافة تبلغ عرض القارة الأمريكية، إلا أن أوجهاً من الشبه كانت تجمع بين ساحل وسط فلوريدا حيث استقر الرجال القادمون من ألمانيا، وبين سانديا‌غو التي استقر فيها نظراؤهم السعوديون؛ فكل من فلوريدا وكاليفورنيا تتمتعان بمناخ مشمس معظم أيام السنة، وتتصدران باقي الولايات الأمريكية بعدد معاهد تدريب الطيران. وقد بلغت معاهد الطيران في فلوريدا حداً من الكثرة لدرجة أن الولاية تسمى أحياناً "ولاية الطيران" كما تتميز الولايتان بسرعة تغير وتزايد السكان فيهما. وتضم سانديا‌غو تحديداً جالية مسلمة نشطة استقبلت المحضار والحازمي، بينما لا يوجد في المدن الصغيرة غرب فلوريدا حيث كان عطا والشحي وجراح يدرسان ويسكنان أي مسلمين، وكان فيها قلة قليلة من العرب. والغالبية العظمى من سكان تلك المنطقة هم من البيض المتقدمين في السن. كما أن عطا والشحي وبحسب طبيعتهما، كان لهما علاقات محلية أقل بكثير من العلاقات التي أنشأها الحازمي في كاليفورنيا[32]. وفي الوقت الذي تخلى فيه الحازمي والمحضار عن متابعة تدريبات الطيران بعد أن قطعا شوطاً في الدروس النظرية وبعض التدريبات الأولية، كان عطا والشحي وجراح طلبة مجتهدين، وكانوا يحرصون على قضاء أكبر عدد من ساعات الطيران المتاحة لهم. بل إنهم كانوا يذهبون إلى معاهد طيران مجاورة لتلقي المزيد التدريب على أجهزة الطيران المشبهة. وفيما يخص عطا والشحي، كان الإصرار من عطا. إذ لم يكن الشحي يولي كثير اهتمام بدراسته في ألمانيا، بينما كان عطا يجد ويجتهد في أي شيء يقوم به، فقد كان الجد والمثابرة شعاره دائماً.

لقيت تدريبات عطا والشحي في فلوريدا بعض الإرباك. فبعد أن استقرت بهما الحال، بدءا بتلقي حوالات منتظمة على حساباتهما المصرفية المحلية. هذه الحوالات التي بلغت خلال أربعة أشهر ما يزيد على 120 ألف دولار بما

في ذلك حوالة واحدة بقيمة 70 ألف دولار من الإمارات العربية المتحدة. وكان المرسل المعتاد لهذه الحوالات هو شخص يدعى علي عبدالعزيز علي، وهو ابن أخت خالد شيخ محمد[33]. تعتبر الحوالات المصرفية العادية، في الظروف الطبيعية، من النشاطات المصرفية المشروعة ولا تخضع في العادة لأي تمحيص. وهي ذات الآلية التي يستخدمها، على سبيل المثال، مقرضو الرهن العقاري - وكانت الوسيلة المالية الرئيسة في تمويل الطيارين في الولايات المتحدة. وإضافة إلى الأموال القادمة من الإمارات العربية المتحدة، وصلت بعض الأموال من ألمانيا عن طريق عمر. وكانت تلك الأموال تسحب من رصيد الشحي في المصارف الألمانية حيث كانت تودع مرتباته الشهرية الخاصة ببعثة الجيش الإماراتي. وكانت تظهر الحوالات الألمانية فقط عندما يتأخر وصول الأموال من علي.

انتظم عطا والشحي في دروسهما وتلقيا تدريباتهما على الطيران، وبالحكم من خلال سجلات حساباتهما المصرفية، فقد كان أكثر تسوقهما يتم في مركز للتسوق في ساراسوتا باستثناء بعض الحالات التي كانا يذهبان فيها إلى وول مارت[34]. وكانا محببين لدى زملائهما في التدريب، وجاء وصف زملائهما لهما مشابهاً لما وصفا به في ألمانيا: كان عطا جلفاً فجاً، ورسمياً. أما الشحي فكان متبسماً دائماً وودوداً. وقلما رؤيا متفرقين لدرجة أن بعض الناس كانوا يحسبون أن بينهما قرابة دم. وكانت إنجليزية عطا أفضل بكثير من لغة الشحي، إلا أنه كان يتجنب كثرة الكلام. وكان يبدو لبعض الناس الذين عرفوه كما وصف هو نفسه - إداري في شركة للحواسيب. وكان الاثنان يرتديان ملابس تشابه الملابس الدارجة في قطاع التجارة والأعمال: بلوزة بولو وسروال كاكي. إلا أن الشحي غالباً ما كانت تبدو ملابسه غير مكوية وغير أنيقة. عمل الاثنان خلال برامج التدريب بما في ذلك التدريبات الإضافية التي تلقياها في

المراكز المجاورة. وحصل كلاهما على ترخيص لقيادة طائرات تجارية صغيرة ذات محرك واحد[35]. وهي خطوة تؤهلهما لتلقي المزيد من التدريبات على الطائرات الأكبر. وقد بلغت تكلفة هذه التدريبات التي تشكل الخطوة الأولى في خطة خالد شيخ محمد المعدلة أقل من 30 ألف دولار أمريكي.

وعلى خلاف عطا والشحي، عمل جراح على تكوين صداقات مع زملائه في معهد الطيران، حتى إنه رافق مجموعة منهم إلى جزر الباهاما في أثناء عطلة نهاية الأسبوع. وأخبر آيسل أن صديقه الذي كان يقود الطائرة كان ثملاً جداً من كثرة تناوله الكحول لدرجة أصبح معها غير قادر على قيادة الطائرة في رحلة العودة. فقام جراح الذي لم يكن مرخصاً بعد ولم يقطع من التدريب سوى شهرين، بقيادة الطائرة بسلام إلى فلوريدا. "كان صديقاً للجميع" كما تقول آرني كروتسهوف، مديرة مركز تدريب الطيران.

اشترى جراح سيارة – أو بالأحرى سيارتين – الأولى كانت رديئة ولم تعمل بشكل جيد، فباعها للوكيل الذي اشتراها منه أصلاً بخسارة ألف دولار، مستبدلاً إياها بسيارة ميتسوبيشي إكليبس موديل 1990 بقيمة 1500 دولار[36]. وسكن جراح مع اثنين من زملائه من معهد الطيران. وكان ينام على الأريكة لأنه كان لا يملك أي أثاث في مسكنه. وكان أول شخص يستيقظ من الصباح، فيصنع الشاي للبقية. وكان يطهو لهم الطعام في المساء. وقال الزميل الآخر، بالرغم من مؤشرات الصداقة والمودة هذه، فقد بقي جراح منعزلاً، وفي بعض الأحيان عدوانياً. وقالا بأنه كان سريع الغضب، وعلى نحو متفجر أحياناً. وكان يظهر ثقة مطلقة ويقيناً قطعياً بشأن أشياء ليس لديه سبب لأن يكون متيقناً بشأنها – وهي قدراته على الطيران. فعلى سبيل المثال، ومنذ أيامه الأولى في التدريب، كان زياد يبدي ثقة عمياء بنفسه في قمرة القيادة. لدرجة أن أحد زملائه كان يرفض الطيران معه بحجة أن زياداً لم يكن حذراً بالدرجة المطلوبة[37].

وفي أكتوبر/ تشرين أول، قام جراح بأول زيارة له إلى أوروبا منذ مجيئه إلى الولايات المتحدة. طار إلى فرانكفورت ليأخذ آيسل، ثم توجه الاثنان إلى باريس حيث أمضيا أسبوعاً في ضيافة أخت زياد التي تسكن هناك. أكلا وشربا وزارا معظم المعالم السياحية[38]. وواصلت أسرة جراح في تقديم الدعم المالي لتعليمه بمعدل 2000 دولار شهرياً وأكثر إذا هو طلب. وتقول آيسل: "كنت أعلم أنه لم يكن يعمل في فينيس، إلا أنه مع ذلك كان يعيش حياة باذخة... وعندما كنت أحتاج أنا أو هو إلى المال، كل ما علي فعله هو أن أرفع سماعة الهاتف وأتصل بوالديه وأخبرهم بالمبلغ الذي أحتاجه، وفي كل مرة كنت أتصل بوالديه، كانوا دائماً يرسلون لنا ضعفي أو ثلاثة أضعاف المبلغ الذي أطلبه"[39].

وخلال السنة التالية، تكررت المشكلات والخلافات التي كانت تطغى على علاقتهما مرة بعد مرة. كانت آيسل فضولية وتحب التحري عن زياد دائماً. وكان زياد يقابلها بالمراوغة والتملّص. لم تكن تعثر عليه عندما كانت تطلبه، كما أنه لم يكن يرد على هاتفيه الخلويين. وكانا يتشاجران ثم يتصالحان. جاء للزيارة ثم عاد. وعندما عاد إلى فلوريدا بعد رحلة باريس لم تسمع آيسل شيئاً منه لعدة أيام.

أرجوك، إنني أناشدك بكل الرجاء أن تتصل بي. اتصل بي ولو بمكالمة قصيرة حتى أطمئن أنك بخير. إنني غاضبة لأنك لا تفكر بي. وأنا جالسة هنا أنتظر منك رسالة وأفكر بك طوال الوقت. هل يمكنك أن تفكر بحالتي مرة واحدة وتضع نفسك في مكاني. إنك تخاطر كثيراً وأنا أعرف الكثير عنك بالرغم من أنك لا تخبرني بشيء. لهذا ليس من المستغرب أنني خائفة عليك أليس كذلك؟

أحبك،

آيسل

وأخيراً رد زياد بالرسالة التالية:

لقد وصلت بسلام. آسف لأنني لم أرسل لك أي رسالة منذ وقت طويل. وصلتني رسالتك ووجدتها حلوة جداً ومليئة بالتفهم والحنان. المسألة ليست مسألة ثقة.

آيسل، إني أحبك، ولا تقلقي[40].

قام زياد خلال إقامته في الولايات المتحدة بخمس زيارات لألمانيا. كما أن آيسل زارته مرة واحدة في فلوريدا. وأثناء تلك الزيارة اصطحبها زياد إلى منطقة الكيز وأراها كيف تدرب على قيادة البوينغ عن طريق أجهزة محاكاة الطيران. وطلب منها ألا تخبر أحداً عن مكان وجوده. ووافقت على ذلك إلا أنها قالت فيما بعد "بالطبع لم ألتزم بذلك الوعد، فإذا اتصل أحد وسأل عنه كنت أخبره. وقلت لزياد ذلك، وكان غاضباً جداً".

وفي ديسمبر/ كانون أول، بدأ عطا والشحي بمعاينة الطائرات الصغيرة. وكان ذلك غالباً في المساء. وكانا لا يعودان حتى الثانية أو الثالثة صباحاً[41]. وتلقى الاثنان تدريبات إضافية على مشبهات الطيران التجاري، وهذه المشبهات تمكن الأشخاص الذين لديهم مهارات طيران بدائية كتلك التي حصلا عليها عن طريق التدريب الرسمي، من البدء بتعلم مهارات ومقدرات أكثر تقدماً دون الحاجة إلى تكبد مصاريف ومخاطر الطيران الفعلي بالطائرات الضخمة. تلقيا تدريباتهما على المشبهات في أوبالوكا خارج مدينة ميامي. وبلغت تكلفة ستة دروس للتدريب على قيادة البوينغ 727 من خلال مشبهات الطيران 1500 دولار، وقاموا بدفع المبلغ نقداً.

وفي اليوم التالي لعيد الميلاد، غادر زياد إلى بيروت لزيارة أهله. وفي بداية العام الجديد، غادر كل من عطا والشحي فلوريدا كذلك. سافر عطا من

مدينة تمبا إلى مدريد. وفي الأسبوع نفسه، غادر الشحي إلى الدار البيضاء في المغرب. مكث جراح أسبوعاً في لبنان، ثم قفل عائداً إلى ألمانيا في الوقت ذاته الذي وصل فيه عطا إلى مدريد. وكان عمر قد عاد لتوه من لندن. وكان ثلاثة منهم على الأقل وربما أيضاً الشحي، موجودين في ألمانيا معاً للمرة الأخيرة.

هامبورغ

لم يجلس بقية أعضاء المجموعة الذين بقوا في هامبورغ مكتوفي الأيدي بينما كان زملاؤهم يتلقون تدريباتهم في الولايات المتحدة. وعاد عمر إلى ألمانيا بعد أن أمضى الربع الأول من السنة في أفغانستان، وفي نيته الالتحاق برفاقه في فلوريدا. وقبل مغادرته أفغانستان قام بتسجيل شريط فيديو يوضح فيه نيته وعزمه على الشهادة[42]. وقبل أن يتحقق ذلك، ذهب يبحث عن عروس له. وفي مطلع يوليو/ تموز، وفي برلين، تعرف على فتاة، وبغض النظر عن أصلها وفصلها، كانت أبعد ما تكون عن الزوجة المسلمة. فقد كانت طالبة تدرس الرقص العصري، وقدمت إلى ألمانيا باحثة عن مدرسة مناسبة للتدريب على الرقص. أخبرت عمر أنها كاثوليكية، وكانت على ما يبدو يابانية مع أن ذلك ليس مؤكداً. وحضرت إلى برلين بعد أن شاهدت استعراضاً قامت به فرقة رقص ألمانية في جولة عالمية، فانبهرت بالأداء الرائع، وأرادت أن تكون مثلهم"[43].

تعرفت على عمر مساء الأحد في مدخل نزل كانت تقيم فيه بينما كانت تقرأ الإعلانات المعلقة على مجلة الحائط ولاحظت أن عمر كان يراقبها. قدم نفسه إليها على أن اسمه رمزي، وعرض عليها الذهاب للسباحة معه ولكنها رفضت. إلا أنها قبلت دعوته لتناول طعام الغداء، فرافقته في الحافلة إلى مطعم عربي وسط برلين.

وخلال الغداء، اقترح عليها الذهاب معاً لمشاهدة فيلم في السينما، فذهبا معاً لحضور فيلم غليديبيتر للمثل رسل كرو. بعد ذلك، ولما اشتكت من تكلفة

إقامتها في النزل حيث كان سريرها واحداً من عشرة أسرّة في الغرفة الواحدة، قال لها عمر أن بإمكانها أن تأتي معه إلى مسكن الطلاب حيث كان يقيم. رفضت العرض لأنها كانت قد دفعت أجرة تلك الليلة مقدماً للنزل، إلا أنهما اتفقا على الالتقاء ثانية صباح اليوم التالي.

جاء عمر في اليوم التالي لابساً بدلة، وبعد أن أخذت أمتعتها من النزل. استقل الاثنان سيارة أجرة إلى الشقة التي استعارها عمر من أحد أصدقائه. لم تكن هناك غرفة منفصلة لها كما وعدها، بل غرفة واحدة بسرير واحد للاثنين. في الليلة الأولى نام عمر على الأرض. واستيقظت المرأة فجر اليوم التالي مذعورة من مشاهدة عمر وهو يسجد على الأرض ويصلي بصوت مرتفع بينما كان يمسك بخنجره اليمني على وسطه.

أمضى الاثنان خمسة أيام معاً. وفي مساء اليوم الأول طلب الشيبة الزواج من المرأة والانتقال معه إلى هامبورغ مدعياً أنه طالب جامعي هناك. وقال لها أيضاً بأنه أخبر أصدقاءه هناك بأنه سيحضر زوجة معه. وكان عليها طبعاً أن تغير من نفسها: أن تلبس لباساً محتشماً وتغطي نفسها كما تفعل المرأة المسلمة.

كانت علامات الغضب تظهر على عمر عندما كانت المرأة لا توافقه؛ لذلك لم تخبره مباشرة وصراحة بعدم موافقتها على الزواج منه. وقالت له ببساطة إنها جاءت إلى ألمانيا للرقص وأنها ستنتقل إلى هامبورغ إذا وجدت هناك برنامجاً مناسباً لدراستها. وقالت المرأة بأن الغضب ظهر بشكل واضح عندما كان عمر يتحدث عن غير العرب. كان يرفض دفع أجرة القطار بحجة أن الألمان لا يستحقونها، وأخبرها بأنهم جميعاً عنصريون. وكان الأمريكان في نظره بالدرجة نفسها من السوء؛ منددا بدعمهم لإسرائيل. وقال لها بأن اليهود هم الأسوأ.

"لقد كان أجداد أجداده، وأجداده، وآباؤه، يكرهون اليهود، وإذا قدّر له أن يرزق بأولاد فإن عليهم أن يكرهوا اليهود كذلك" هكذا كان يقول، كما نقلت عنه المرأة.

وردت عليه المرأة بأن هذه الكراهية يجب أن تتوقف في وقت ما، ولكنه استشاط غضباً حتى خافت أن ينهال عليها ضرباً. وصرخ بأعلى صوته بأن أولاده يجب أن يكرهوا اليهود. وعلى أية حال، لم تكن نزواته العصبية هي طبعه السائد. فقد يكون دافئاً ومرحاً، وقال لها بأنه ما شاهد شخصاً أكثر منها مرحاً وفكاهة.

كان طعام الشحي في غالبيته مكوناً من فطائر البيتزا بسمك التونة المجمدة التي كان يشتريها من البقالة ويعيد تسخينها في الشقة. وخلال الأيام الأربعة تجوّل الاثنان في برلين. كانت هي تجوب المحلات بينما كان عمر يتنقل بين مراكز الاتصال ومقاهي الإنترنت. وكان يتلقى باستمرار مكالمات على هاتفه الخلوي، ثم يسارع في البحث عن أقرب هاتف عمومي للرد على تلك المكالمات. ولم يوضح لها طبيعة تلك المكالمات أو الهدف منها بحسب قولها.

تحدث الاثنان كثيراً حول الفيلم الذي شاهداه، وبعد ذلك وقع عمر على رسالة أرسلها إليها عبر البريد الإليكتروني بعبارة "مليكك، رمزي" وبعد انقضاء خمسة أيام، عاد عمر إلى هامبورغ، ولم يشاهد كل منهما الآخر بعد تلك اللحظة.

قام عمر بثلاث محاولات أخرى للحصول على تأشيرة دخول إلى الولايات المتحدة. وفي إحدى المرات، قام بتحويل مبلغ 2200 دولار إلى مركز فلوريدا لتدريب الطيران وهو المعهد الذي يتدرب فيه جراح، كدفعة أولى من رسوم التحاقه بالمعهد لتلقي تدريبات مماثلة. واستخدم طلب التسجيل في المعهد كأساس للحصول من خلاله على تأشيرة دخول طالب بدلاً من تأشيرة الزيارة التي كان يسعى للحصول عليها في السابق لكن دون جدوى. وقد بدا أن عمر كان مستميتاً في محاولاته اللحاق برفاقه. ففي السابع من ديسمبر/ كانون أول من عام 2000، قام بإرسال رسالة عبر الفاكس إلى مركز فلوريدا لتدريب

الطيران، يتساءل فيها بقلق عن وثائق قبوله وإقامة الطالب. وكتب بخط يده بأحرف كبيرة ملفتة ولغة إنجليزية ركيكة ما يلي:

*** عاجل جداً ***

أرجو أن تخبروني عن طريق وأي شركة قمتم بإرسال وثائق الفيزا الخاصة بي. وما هو الرقم البريدي لتلك الرسالة.

أرجوكم الرد اليوم. فالأمر ضروري جداً. أنا في انتظاركم[44].

وفي محاولة أخرى، هيّأ عمر لإيداع بضعة آلاف من الدولارات في حسابه المصرفي في اليمن حتى يظهر للسفارة أنه موسر مالياً. وباءت هذه المحاولة هي الأخرى بالفشل. فبعد أن قابله موظفو السفارة الأمريكية في كل من برلين وصنعاء ثلاث مرات على الأقل، قرر كل واحد منهم في كل مرة أنه يندرج ضمن من يحاولون الهجرة غير المشروعة إلى الولايات المتحدة لأهداف اقتصادية. وبعد المحاولة الأخيرة الفاشلة، نصحه القنصل الأمريكي في السفارة الأمريكية في برلين أن يتوقف عن المحاولة: "أرجو أن تفهم أننا لا نستطيع منحك تأشيرة دخول إلى الولايات المتحدة"[45]. واستند قرار المنع إلى تعليمات السيطرة على الحدود التي تركز بالدرجة الأولى على منع الهجرة لأسباب اقتصادية. وتقضي بمنع الأفراد الذين يتبين أنهم يقصدون الولايات المتحدة بهدف العمل وحرمان الأمريكان من الوظائف المتوفرة لهم؛ أما الأشخاص الذين يعتقد أنهم ينتمون إلى منظمات إرهابية كالمحضار والحازمي، فكانوا يعبرون الحدود ويحصلون على تأشيرات الدخول دون أي إشكال لأن وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية CIA لم تفكر بإعلان السفارات الأمريكية في الخارج بهذه الشكوك.

وفي تلك الأثناء، عاد المتصدق والصبار من أفغانستان. وعلى الرغم من أنهما تدربا على انفراد، كان المغربيان يلتقيان بانتظام في المعسكر قرب

قندهار. واستمتع الصبار بحياة المعسكر، وأمضى تسعة أشهر هناك وأخبر المتصدق أنه لا ينوي العودة إلى ألمانيا[46]. إلا أنه، مع ذلك، رجع إلى ألمانيا في أكتوبر/ تشرين أول . ومن الواضح أن عمر طلب منه العودة. ولدى عودته قام بالإجراءات نفسها التي قام بها رفاقه بعد مغادرتهم المعسكر. فتقدم بطلب للحصول على جواز سفر جديد مدعياً ضياع جواز سفره القديم. وبعد حصوله على الوثائق الجديدة، وفي ضوء فشل عمر في الحصول على تأشيرة دخول إلى الولايات المتحدة، تقدم الصبار بطلب للحصول على تأشيرة دخول إلى الولايات المتحدة الأمريكية. ويشير توقيت هذا الطلب إلى أن المجموعة كانت عازمة على البحث عن طيار رابع. ورفض طلب الصبار للأسباب ذاتها التي رفض لأجلها طلب عمر.

استقر عمر بعد محاولته الأخيرة الفاشلة في الحصول على تأشيرة دخول إلى الولايات المتحدة، على لعب دور ضابط الاتصال بين الطيارين المفترضين – فريق الضربة – كما يسمونهم، وبين المخطط الرئيسي، خالد شيخ محمد وبقية هيكل القاعدة. كانت الأموال تأتي وتحوّل عبر عمر. وتولّى هو ومجموعة من رفاقه مهمة الإبقاء على أعضاء المجموعة مسجلين في الجامعة كطلاب دون حضور الدروس. ويبدو أن مهن الجامعة في بعض الأحيان كانت كذلك – مهن مدى الحياة – وبذلك لا يثير الغياب الطويل أي شكوك، بل لا يمكن ملاحظته. وحتى الذين بقوا في هامبورغ قاموا بشراء وثائق تأمين للطيارين المتدربين لكي يبدو الأمر وكأنهم ما زالوا في ألمانيا. وتولوا التعامل مع الرسائل الواردة إليهم وما يستجد من أمور أخرى.

وفي ديسمبر/ كانون أول، سافر عمر إلى لندن. وفي ذلك الحين كان قد استنفد جهوده كلها للحصول على تأشيرة دخول إلى الولايات المتحدة. كما أن الصبار فشل هو الآخر في الحصول على التأشيرة. وفي لندن، التقى عمر

مرشحاً آخر ليكون طياراً. واسم هذا الشخص زكريا موسوي، يحمل الجنسية الفرنسية، وينحدر من أصل مغربي[47]. ونظراً لكونه يحمل الجنسية الفرنسية فإن بإمكانه الذهاب إلى الولايات المتحدة والعودة منها كما يشاء. وإلى جانب ذلك، كان لديه أكثر من مشكلة. وأكثر هذه المشكلات أنه كان ذا شخصية متقلبة. وبسبب مجاهرته المعهودة بالحديث عن الإسلام، فقد جلب أنظار الأجهزة الأمنية إليه في فرنسا وبريطانيا؛ ومن المرجح أنه كان خاضعاً لرقابة الاستخبارات المغربية إضافة إلى جهازي استخبارات لدولتين أخريين. نشأ موسوي في فرنسا في كنف أم حنونة كثيرة التنقل، رفضت الإسلام الأصولي[48]. والتحق بالجامعات البريطانية في لندن ووجد طريقه إلى المشهد الإسلامي المتطرف. سافر إلى أفغانستان للالتحاق بالجهاد ومعسكرات التدريب التابعة للقاعدة هناك عام 1998. وبعد الانتهاء من المعسكرات عاد إلى لندن كمروّج ومتحدث عن الإسلام المتطرف.

أثار موسوي، أو بالأحرى جواز سفره الأوروبي - اهتمام مجنِّدِي القاعدة، ولا يعرف إن حدث ذلك في أفغانستان أم بعدها[49]. وطُلِب منه السعي نحو التدرب على قيادة الطائرات التجارية. وأُرسل إلى ماليزيا وأُعطي المال الكافي لتحقيق ذلك. واستُقبل في ماليزيا في ذات الشقة جنوب كوالالامبور ومن قبل ذات الشخص الذي استقبل المحضار والحازمي، وهذا الشخص هو يزيد سوفات، نائب حنبلي. وقيل لموسوي بأنه يستطيع التدرب على الطيران في معهد للطيران في مالاكا على الساحل الغربي. إلا أنه وبعد أن عاين فرص التدريب، قرر أن المنطقة كثيرة الأمطار وأن تحقيق هدفه سيتسغرق وقتاً طويلاً[50]. فقفل عائداً إلى لندن. وقبل عودته، قدم له سفات رسائل تزكية تشهد بأنه يعمل بوظيفة مندوب مبيعات لدى شركة إنفوكس، وهي الشركة التي تملكها زوجته وتتخصص بخدمات الحاسوب. وبدأ موسوي بمراسلة

معاهد الطيران في الولايات المتحدة عن طريق البريد الإليكتروني بما فيها معهد إيرمان للتدريب على الطيران في مدينة نورمان في أوكلاهوما. وهو المعهد الذي زاره عطا والشحي في صيف ذلك العام. وفي أكتوبر/ تشرين أول، أرسل رسالة إليكترونية إلى بريندا كيين المديرة التنفيذية للمعهد جاء فيها:

السيدة بريندا، مرحباً،

لقد كنت مشغولاً جداً مؤخراً وذلك للتحضير لسفري إلى الولايات المتحدة. وأرجو أن أتمكن من المجيء في الشهر المقبل (ربما خلال أسبوعين) إذا سار كل شيء على ما يرام. أعتقد أننا حين نلتقي ستتاح لنا الفرصة (على ما آمل) لمناقشة المسائل المالية بتفصيل أكثر. وحتى ذلك الحين أترك لك هذا .....

طيراناً موفقاً، إلى اللقاء، إلى اللقاء.

وبدلاً من أن يوقع موسوي اسمه على تلك الرسالة. استخدم الاسم الذي كان يستخدمه دائماً في مراسلاته السابقة: "زولومان تانغو تانغو".

اجتمع موسوي في لندن بعمر الذي أعطاه تعليمات بالتوجه إلى باكستان للاجتماع بخالد شيخ محمد. وعاد عمر إلى ألمانيا، وسافر موسوي إلى كراتشي حيث وافق خالد شيخ محمد على اقتراحه بالذهاب إلى أوكلاهوما في الولايات المتحدة"[51].

بعد عودة عمر إلى ألمانيا، اجتمع هناك بمحمد عطا وزياد جراح، مع أنه من غير الواضح ما إذا كان قد اجتمع بهم فرادى أم مجتمعين. وليس من المعلوم ما إذا كان الشحي اجتمع مع عمر. فقد سافر الشحي إلى المغرب، ويمكنه بسهولة أن يتوجه إلى ألمانيا، إلا أنه لا يوجد دليل على ذلك. أتمّ الطيارون الثلاثة تدريباتهم الأولية. وفي ظل حالة الشك وعدم التيقن التي

تحيط بموسوي، بقيت خطة خالد شيخ محمد تفتقر إلى طيار رابع. حاول الصبّار مرة أخرى الحصول على تأشيرة دخول إلى الولايات المتحدة، إلا أنه أخفق ثانية في الحصول عليها. ولاحقاً في ذلك الشهر، وبعد أن عاد الطيارون إلى الولايات المتحدة، سافر عمر إلى طهران ومن هناك تابع وجهته إلى أفغانستان[52].

لم يعقد خالد شيخ محمد آمالاً كبيرة على زكريا موسوي. واتفق هو وعمر على استخدامه كاحتياط أخير[53]. وعلى أية حال، فقد وجد خالد شيخ المرشح الذي سيشغل مكان عمر كطيار رابع - وهذا الشخص هو شاب سعودي اسمه هاني حنجور، وهو طيار متدرب ومرخص في الولايات المتحدة كطيار تجاري. لم يستطع حنجور العثور على عمل كطيار في أي مكان. فتوجه بدلاً من ذلك إلى معسكرات القاعدة في أفغانستان، وهناك انتهى إلى مسامع القيادة العليا في القاعدة نبأ حصوله على رخصة الطيران[54]. وبالإضافة إلى قدرته على الطيران، فإن كونه يحمل الجنسية السعودية سيجعل من اليسير حصوله على تأشيرة دخول إلى الولايات المتحدة. وقام خالد شيخ محمد بإرساله إلى الولايات المتحدة على الفور.

فينكس

وصل حنجور إلى كاليفورنيا مطلع ديسمبر/ كانون أول من عام 2000. وقدم على تأشيرة دخول طالب حصل عليها لدراسة اللغة الإنجليزية في أوكلاند، كاليفورنيا. ولكنه لم يداوم يوماً واحداً في معهد اللغة، وذهب بدلاً من ذلك إلى جنوب كاليفورنيا، إلى سانديغو، حيث يسكن نواف الحازمي منذ أن جاء من ماليزيا في يناير/ كانون ثاني.

كان حنجور قد أقام في الولايات المتحدة وعلى نحو متقطع خلال التسعينيات من القرن الماضي. وكانت غالبية إقامته في ولاية أريزونا، حيث

كان يتلقى تدريباته على الطيران في معاهد مختلفة هناك. وكان أول مقدمه إلى الولايات المتحدة عام 1990، لتعلم الإنجليزية في مدينة توسكان حيث كان يقيم أخوه الأكبر. ومكث هناك مدة ثلاثة أشهر ثم عاد إلى المملكة العربية السعودية. وتعتبر عائلة حنجور من الأسر التجارية الناجحة في مدينة الطائف. وهي المدينة السياحية في جبال عسير جنوب شرقي مكة. وتعتبر الطائف العاصمة الصيفية للأسرة الحاكمة السعودية. كما أنها الآن محطة اصطياف الأجيال الشابة السعودية التي تضاعفت أعدادها ثلاثة أضعاف خلال العقود الثلاثة الماضية التي شهدت فيها المملكة انفجاراً سكانياً كبيراً. وتطل الضواحي الخارجية للمدينة على سلسلة من الجبال الصخرية الوعرة وتنتشر فيها الاستراحات والحدائق السياحية، وتوجد فيها حتى مستعمرة للقرود. ويقع منزل أسرة حنجور في ضاحية جميلة في التلال المطلة على المدينة وتقطنها الطبقة الوسطى.

عاد حنجور إلى الولايات المتحدة عام 1996، وكان يعتزم العمل كمضيف في الطائرة. إلا أن أخاه عبدالرحمن حنجور أخبره بأنه إذا كان يرغب في العمل في حقل الطيران فإن من الأفضل له العمل كطيّار. وشجعه على المجيء إلى الولايات المتحدة وتلقي تدريباته فيها. ورتب لأخيه هاني مسكناً في البداية مع أسرة سوزان وعدنان خليل. وكان عبدالرحمن رجلاً سهل العريكة، بشوشاً، ودوداً، ومخالطاً للناس. وكان هاني على العكس منه تماماً - وديعاً وهادئاً. ولم يكن له زوّار. كان يصلي خمس مرات في اليوم، والشخص الوحيد الذي شاهدته أسرة خليل يأتي لزيارة هاني، هو الشخص الذي كان يأتي لأخذ هاني إلى المسجد. وخلال مدة إقامته مع أسرة خليل، قلما تحدث بكلمة واحدة إليهم. وتقول سوزان خليل: " كان هاني كالفأر الصغير حول المنزل،... لم يكن له أصدقاء، فيما عدا الأشخاص الذين كانوا يأخذونه إلى المسجد أو يأتون به

من المسجد. وعندما أكون في البيت ويكون زوجي في العمل، كان هاني يلزم غرفته ولا يخرج منها، يقرأ القرآن على الأرجح، أو أي شيء ...كان يرغب في العودة إلى السعودية والعمل هناك كطيار في الخطوط الجوية السعودية. أو شيء مشابه. وأذكر أنه كان متحمساً لذلك. وكنت أظن أنها فكرة رائعة وأن ذلك شيئاً جيداً له"[55].

أقام حنجور مع أسرة خليل لمدة شهر، ثم انتقل إلى كاليفورنيا لدراسة اللغة الإنجليزية. ومنها إلى أريزونا، حيث التحق بمركز تدريب إدارة قمرة مقصورة القيادة في سكوتسديل، إحدى ضواحي مدينة فينكس. ويقول دونكان هاستي الذي يملك المركز بأن حنجوراً التحق بالمركز في الثلاثة أشهر الأخيرة من عام 1996. وكانت تلك بداية تقدمه المتعثر نحو الحصول على رخصة الطيران التي تستغرف ثلاث سنوات. ويقول دونكان هاستي: "إن أول إنجاز للشخص الذي يلتحق بمعاهد الطيران هو القدرة على قيادة الطائرة دون وجود مدرب إلى جانبه... وهي عملية تهدف إلى بناء الثقة بالنفس. وقد نجح حنجور في ذلك، ويمكنني أن أشبه ذلك بركوب السيارة وقيادتها في شوارع المدينة وسط الزحام. وهو ما يختلف عن القيادة على الطريق الخارجي السريع"[56].

وصف هاستي حنجور بأنه ذكي، و ودود، و "مؤدب جداً، ورسمي". كان شخصاً لطيفاً ولكنه طيار سيئ. وفي العادة يمكن للشخص أن يحصل على رخصة قيادة طائرة صغيرة ذات محرك واحد خلال ثلاثة شهور، إلا أن حنجوراً عاد إلى المملكة العربية السعودية شتاء ذلك العام دون الحصول على تلك الرخصة، وخلال تلك الفترة كان يتصل بالمركز بين الحين والآخر، لقد كان "يسبب لنا إزعاجاً كبيراً". لم نكن نرغب أن يعود إلينا في المعهد؛ لأنه لم يكن جاداً في سعيه لأن يصبح طيّاراً جيداً. إلا أنه عاد في السنة التالية، وفشل

مرة أخرى في الحصول على الرخصة، والتحق بمعهد طيران آخر. وبقي يحاول حتى بعد أن نصحه أحد الفاحصين من وكالة سلطة الطيران الفيدرالي بأن من المستبعد أن يحصل على رخصة طيران تجاري بسبب ضعف لغته الإنجليزية.

يقول عبدالله سليمان، الذي اشترك مع حنجور عام 1998 في المسكن، بأن حنجوراً كان يخصص كل وقته للدراسة والتدريب. كان يدرس، يصلي، ويذهب إلى المصرف لإحضار المزيد من المال من أجل مزيد من التدريب. "كنت أقول له، دعنا نذهب إلى السينما، فكان يقول – لا –، وكنت أطلب منه مصاحبتي للعب كرة السلة، فكان جوابه – لا – "ويضيف سليمان "كان هاني يلزم البيت ويدرس المقررات الدراسية لمعهد الطيران"[57].

أثمرت جهوده أخيراً عام 1999. وبعد أن تلقى التدريب في أكثر من أربعة معاهد للطيران، منحت سلطة الطيران الفيدرالي هاني حنجور رخصة طيران تجاري. عاد إلى السعودية واجتهد في البحث عن وظيفة كطيار بقدر اجتهاده في الحصول على تلك الرخصة، ولكن دون جدوى. وقد أدّى فشله في الحصول على وظيفة إلى إصابته بالاكتئاب. ولم يفعل شيئاً في السنة التالية سوى تصفح الإنترنت في المقهى الذي تمتلكه أسرته، والقراءة عن الطيران. وقد كان منذ بداية حياته ملتزماً بدينه وتقياً. وبدأ الآن بالاستماع إلى أشرطة المحاضرات والخطب النارية لمختلف الأئمة التي تنتشر في المملكة[58]. وانتهى به المطاف إلى أفغانستان، وكحال كثير من الشباب المسلم توجه إلى المعسكرات هناك. ووصل إلى هناك في الوقت الذي كان رجال خالد شيخ محمد يبحثون عن طيار رابع. فوجدوا ضالتهم في حنجور، فعاد إلى الولايات المتحدة ومعه فرصة، أخيراً، للطيران.

لم يمكث حنجور وحازمي طويلاً في سانديغو بعد مقدم حنجور. فغادر الاثنان قبل عيد الميلاد، وقال حازمي لعبدالستار شيخ مالك المنزل الذي كان

يقيم فيه بأنه ذاهب إلى سان خوزيه من أجل متابعة الدراسة. وعرّج الاثنان على محطة تكساكو في سيارة التويوتا كورولا الزرقاء التي يملكها الحازمي لوداع الأصحاب وهم في طريقهم خارج المدينة. واتصل الحازمي بعبدالستار شيخ وأخبره بأنه متوجه إلى أريزونا "وكان ذلك آخر مرّة سمعت فيها منه". بحسب إفادة عبدالستار شيخ[59].

وفي فينكس، بدأ حنجور تدريباته على الطيران مرة أخرى.

بلوشستان

يقع المخيم الصحراوي خارج وادي كيش على سفح هضبة التلال الصخرية الوعرة فوق توربات، وهذا يعني أنه في وسط منطقة نائية بعيدة عن العالم الخارجي، صوب سلسة جبال ماكران بعيداً في الصحراء الجنوبية الغربية من بلوشستان، وحوالي 75 ميلاً عن الحدود الإيرانية. ومدينة توربات نفسها، والتي يصعب وصفها بالمدينة، كانت بالرغم من ذلك مكاناً لإحدى القصور الكبيرة لناواب الأمير البلوشي الذي حكم المنطقة. كما كانت نقطة عبور لتجارة التمور البلوشية والنفط الإيراني، والهروين والحشيش الأفغاني. وعلى قمة المرتفعات، يوجد المعلم الوحيد من معالم التجارة وهو سوق الجمال الواقع على أطراف قرية صحراوية صغيرة حيث يقع المعسكر.

كان عدد الأشخاص الذين أتي بهم إلى المعسكر قليلاً، وهم مجموعة من الباكستانيين والعرب في حالة رثة وتبدو عليهم آثار التعب من السفر. كان معظمهم من البسطاء المتدينين الذين يظنون أنهم في رحلة تشبه رحلة الحج من أجل التدريب الديني. وقد تم إرسالهم من دول الخليج عن طريق جماعة التبليغ التي وعدتهم بأنهم ذاهبون إلى اجتماع سنوي تعقده الجماعة في باكستان. وبدلاً من ذلك، انتهى بهم المطاف إلى هذا المعسكر الصحراوي بعد رحلة شاقة وطويلة مرت عبر مناطق القتال في كشمير وتخللها السفر عن

طريق القطار والشاحنات امتدت على طول الحدود الباكستانية. وقد كان ذلك أكثر أو أقل مما كانوا يتوقعون.

والآن، وبعد أن أصبحوا هنا، فقد تم وضعهم في جماعات مكونة من ثلاثة أشخاص في أكشاك من الطين. وكان هناك حوالي دزينة من هذه الأكواخ في المخيم. وكان البيت الأخير منها مخصصاً للضيوف. وخصص الكوخ الأوسط لعقد الاجتماعات. وأمضت المجموعة أياماً سعيدة في المعسكر. فقد كانوا يصلون ويتحدثون، ويستمعون، ويذهبون من وقت لآخر إلى القرية. وفي نهاية الأسبوع الأول، وبعد صلاة العشاء. وصلت مجموعة من الرجال المسلحين تسليحاً كثيفاً في قافلة صغيرة مكونة من مركبات التويوتا الرمادية ذات الدفع بأربعة عجلات. وكان قائد القافلة رجلاً كثيف اللحية، انضم إلى الاجتماع وألقى عليهم الدروس. ولم يكن ذلك وعظاً عادياً كما لم يكن ذلك الشخص واعظاً عادياً. كان يحث الزوار على الحرب، وكان اسمه خالد شيخ محمد[60].

وجماعة التبليغ هي جماعة إسلامية مجددة، تأسست في الهند في العشرينيات من القرن الماضي. ويركز قادة الجماعة على طبيعتها المسالمة وعزوفها عن التدخل في السياسة. إلا أن القاعدة، وعلى مدى العشرين عاماً الماضية، استغلت الجماعة لتجنيد أتباع لها[61]. وكان محمد يلقي الدروس بعد الصلاة مساء كل يوم من الشهر. بدءاً من منتصف أكتوبر/ تشرين أول قبل بدء تساقط الثلوج. ويقول أحد الأشخاص الذين شاركوا في المعسكر:

"كان حديثه منصباً حول - كيف نعيش عيش حياتنا -، وما يجري حول العالم. ومعظم كلامه كان عن كرهه لأمريكا واليهود. وكان مغتاظاً جداً من التدخل الأمريكي في كل مكان. أفغانستان، الشيشان، كشمير. - هذا شيء كثير. اذهبوا اقتلوهم - هذا كل ما كانوا يقولونه في المعسكر، - اذهبوا اقتلوا الناس -[62]".

حث خالد الخارجين مع جماعة التبليغ بالانضمام إلى جماعته. وقال لهم بأن بإمكانه أن يزودهم بهويات جديدة في كراتشي خلال دقائق ويرشدهم كيف يغيروا مظهرهم. وكان مرافقوه يتحدثون من خلال أجهزة لا سلكي من نوع سانيو. وفي بعض الأحيان كان بعض الأشخاص يأتون من الجبال على ظهور الخيل لحضور الاجتماع. وقائد تلك المجموعة شخص اسمه عارف شيخ، وكان محمد يلاقيه بكل حفاوة. وكان عارف أطول من خالد ولكنه كان يشبهه كثيراً لدرجة أن بعض الناس كانوا يظنون أنهم أقارب. وربما كانوا كذلك؛ وربما يكون الرجل الأخ الأكبر لخالد، عارف، الذي يعتقد أنه استقر في بلوشستان بعد مشاركته في الجهاد في أفغانستان[63]. ويبعد المعسكر حوالي 50 ميلاً أو أكثر جنوب المنطقة التي تسكنها أسرة خالد وأجداده قرب بانجغور. وكان خالد شيخ محمد يتاجر مقايضة مع السكان المحليين بشحنات النفط الإيراني الذي كان يسحب بالبراميل من خزانات التخزين في توبات. وكانوا يتحدثون عن الذهاب إلى أفغانستان من خلال إيران متجنبين بيشاور لأن الطرق القديمة كانت تخضع لرقابة مشددة. وكان خالد شيخ ثابتاً في لقاء الشبان كل ليلة لتشجيعهم وحثهم.

يعتبر عام 2000 من الأعوام الحافلة بالنشاطات المكثفة لنخب القاعدة وبالتحديد خالد شيخ محمد. وفي هذا العام تم وضع الخطة المعدّلة لمهاجمة الولايات المتحدة الأمريكية عن طريق الجو موضع التنفيذ. وفيما عدا تأمين الطيار الرابع، سارت المراحل الأولية من الخطة على ما يرام وبشكل غير عادي. فقد تم العثور على ثلاثة مرشحين ليصبحوا طيارين، وتم تمويلهم، وإرسالهم إلى الولايات المتحدة. وأنهوا جميعهم الجزء الأساسي من تدريباتهم دون أي عائق. كما تم العثور على مرشح ليكون الطيار الرابع، وتم إرساله في

المهمة. وتم وضع هيكل للقيادة والاتصالات يلعب عمر فيه دور حلقة الوصل. وكان عمر الشخص المثالي لهذه المهمة. فقد كان يجيد التشبيك، وكان يحظى بثقة كافة الأطراف. وكان يعرف الطيارين المرشحين معرفة جيدة منذ سنوات. ويذكر الأشخاص الذين شاهدوه في أفغانستان أن صلة خاصة نشأت بين عمر وابن لادن. وكان الاثنان يجتمعان يومياً، بحسب شهادة أحد الأشخاص. وقد رؤيا وهما مندمجين في نقاش عميق[64]. وكان ابن لادن ينزع إلى استخدام اليمنيين في خططه بأعداد تفوق نسبة عضويتهم في المنظمة. ويثق بهم ثقة عمياء.

كان لدى خالد شيخ محمد مخاوف أخرى. فقد طوّرت القاعدة أسلوباً متئداً في عملياتها. وكان يسمح بتطوير الخطط على مدى عدة سنوات، فعلى سبيل المثال: بدأت الاعتبارات الأولى لتفجير السفارات الأمريكية في شرق إفريقية في مطلع التسعينيات من القرن الماضي. وتم وضع المنفذين في تلك الدول قبل ستة وسبعة أعوام من وقوع الهجمات عام 1998. ويبدو أن الوقت الطويل الذي تأخذه هذه العمليات غريباً لعدة أسباب، ليس أقلها أن إطالة المدة تزيد من احتمالات تعريض سلامة وأمن المنفذين المفترضين للخطر طوال هذه المدة. وبالنظر إلى أن أعمال الاستخبارات المضادة تعتمد فيما يبدو في جزء كبير منها على الحظ، فإن طول المدة التي تتطلبها العملية سيزيد من فرص احتمالات تدخل الحظ في الكشف عنها. ويبدو أيضاً أن هذه الاحتمالات لم تكن مصدر قلق بالنسبة للقاعدة. أو على الأقل لم يكن لها أي أثر من الناحية الواقعية.

أما الأثر العملي للخطط طويلة المدى فهو فتح المجال لتخطيط عدة عمليات في وقت واحد. إضافة إلى إمكانية اشتراك الأشخاص في أكثر من علمية. وبينما كانت خطة عملية اختطاف الطائرات تأخذ مجراها في تجنيد وتجهيز الطيارين، أمضى خالد شيخ محمد ثلاثة أسابيع في روما، بداية ذلك

العام، في العمل للتحضير لمؤامرة أخرى[65]. كما أنه قدم المساعدة في التحضير للهجوم على القوات الأمريكية في خليج عدن جنوبي غرب اليمن. حيث رافقه إلى المنطقة عبدالرحيم التشيري وتوفيق بن عطاش - أو خلاد كما كان يعرف.

كان خلاّد شخصية بارزة في الاجتماعات التي عقدت ذلك العام في ماليزيا. وهو الاجتماع الذي تجسست عليه وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية CIA وساعد فيما بعد في وضع خطة جديدة للهجوم على سفينة أمريكية. ورافقه في رحلة العودة إلى اليمن ذلك الخريف شخص واحد على الأقل ممن حضروا اجتماعات كوالالامبور وهو خالد المحضار. كما كان عمر في اليمن كذلك. حيث وصل في اليوم الذي سبق الهجوم على البارجة الأمريكة كول. وغادرها بعد أربعة أيام[66]. وفي هذه المرة نجح المهاجمون في مهمتهم، إذ صدموا جانب السفينة كول بقارب محمل بالمتفجرات بينما كانت راسية في ميناء عدن. وأحدث الانفجار فجوة كبيرة في جانب المدمرة كادت أن تغرقها، كما وأودت بحياة سبعة عشر بحاراً أمريكياً. وأفلت خلاد والمحضار دون أن يلحظهما أحد.

وبعد تفجير السفارات عام 1998، ردت الولايات المتحدة على تلك التفجيرات بإطلاق عشرات الصواريخ من نوع كروز على معسكرات التدريب في أفغانستان، وعلى مصنع كيماوي في السودان. وتعاملت القاعدة مع هذا الرد هذه المرة. فكان ابن لادن يتنقل باستمرار حول أفغانستان لعدة أسابيع مغيراً مكان إقامته يومياً[67]. ويبدو أنه لهذا السبب كان خالد شيخ محمد مختفياً في بلوشستان.

توضح حقيقة إحضار خلاد للمساعدة في تنفيذ الهجوم على المدمرة كول ومشاركة المحضار فيها، جانباً ملفتاً من جوانب القاعدة، ألا وهو صغر حجم

هذه المنظمة. فعلى امتداد عشرين عاماً، مرّ على معسكرات التدريب في أفغانستان عشرات الآلاف من الشباب. وفي تلك الفترة نفسها تمت نسبة عشرات الهجمات التي حدثت حول العالم إلى الأصوليين الإسلاميين. إلا أن صلة معظم هذه الهجمات وكذلك الأشخاص الذين نفذوها بالقاعدة هي صلة ضعيفة فيما عدا التوافق في الأهداف. فقد كانت غالبيتها جماعات مستقلة، تقوم بعمليات محلية. أما الهجمات التي نسبت إلى القاعدة فقد كانت المجموعة ذاتها من الأشخاص المعدودين على الأصابع متورطة في كل واحدة منها. وحتى الأفراد العاديين الذين اشتركوا في تلك العمليات تم استخدامهم مرة أخرى في عمليات أخرى. وكانت المنظمة صغيرة جداً لدرجة أن كل شخص فيها، ومن وقت لآخر، كانت له علاقة مباشرة مع القيادة العليا فيها. وكان الأشخاص الذين يأتون إلى معسكرات التدريب يجتمعون بابن لادن بشكل عادي. وذكر بعض الأشخاص الذين شاركوا في التدريب في المعسكرات ولكنهم لم ينضموا إلى المنظمة أنهم اجتمعوا عدة مرات بابن لادن وخالد شيخ محمد والقائد العسكري محمد عاطف والمسؤول عن التجنيد أبو زبيدة. وقد ساعدت القيم المشتركة للمنظمة في زيادة قوتها عن طريق تحالفها مع الجماعات الأصولية السياسية المشابهة والمستقلة ذاتياً حول العالم. وهذا الأمر جعل من القاعدة تبدو وكأنها موجودة في كل مكان. ولكنها كانت في الواقع حفنة من الرجال يلاحقون بإصرار بعض المشاريع والمغامرات القاتلة.

فيرجينيا

في 20 أكتوبر/ تشرين أول، قام محمد بلفاس مرشد عطا في هامبورغ، و أحياناً رفيق عمر في السكن، بمرافقة آغوس بديمان، وهو معماري شاب يعرفه منذ سنوات، في رحلته من ألمانيا إلى الولايات المتحدة. وكان بيدمان، وهو إندونيسي مثل بلفاس، يزور الولايات المتحدة منذ سنوات عدة. ولديه أقارب يسكنون في ضواحي العاصمة الأمريكية واشنطن. وكان ينوي الاستقرار

بشكل دائم هناك. وقال بلفاس فيما بعد بأنه سائح عادي جاء ليشاهد الولايات المتحدة.

سكن بديمان مع أخيه، وعمل في وظيفة مسائية كسائق في خدمة توصيل طلبات الطعام إلى المنازل. وخلال الأسبوعين اللذين قضاهما بلفاس هناك، كان يرافق بديمان إلى العمل ويساعده في قيادة السيارة والتوصيل مقابل أن يساعده بديمان في الحصول على رخصة سوق أمريكية. وقال له بديمان بأنه لا يحتاج إلى رخصة سوق أمريكية لقيادة سيارة التوصيل، إلا أن بلفاس أصرّ على ذلك قائلاً بأنه يريد أن يحتفظ بالرخصة كشيء تذكاري[68].

وفي الرابع من نوفمبر/ تشرين ثاني، قام بلفاس وبديمان بزيارتهما الأولى من مجموع زيارتين إلى مكتب إدارة ترخيص المركبات في مركز مدينة آرلينغتون في ولاية فيرجينيا. وفي الزيارة الأولى حصل بلفاس على بطاقة هوية شخصية، وبعد ذلك شهد بديمان أن بلفاس يقيم في آرلينغتون. ورجعا بعد يومين وتقدم بلفاس بطلب للحصول على رخصة سوق من فيرجينيا وحصل عليها مستخدماً بطاقة الهوية كدليل على إقامته في الولاية. ثم عاد بلفاس إلى ألمانيا خلال أسبوع.

وهناك، وبحسب ما يقول هو، التقى صديقه عمر بطريق الصدفة في القطار، وأخبره عن رحلته إلى الولايات المتحدة وكيف حصل هناك على رخصة سوق أمريكية.